باب فى فضل الخوف من اللّه
وفيه : عشرون حديثا

فصل فى الخوف من الله ﷻ

إن الخوف من الله ﷻ ، من أهم وأعظم أنواع العبادة ؛ ومن أقوى دوافع العبد إلى مراقبة الله ﷻ فى السر والعلن ، والحذر من ارتكاب الذنوب والمعاصى .

وهو لايرجع إلى رغبة العبد واختياره ، بل هو واجب ، ومن لا يخف من الله ﷻ فهو آثم .

ومن أدلة وجوبه : قوله تعالى : ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠] ، والأمر يقتضى الوجوب .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

[آل عمران:١٧٥]

قال السعدى ~ : وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده ، وأنه من لوازم الإيمان ، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله ، والخوف المحمود : ما حجز العبد عن محارم الله [١] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣] .

والخوف من الله ﷻ من صفات أولى الألباب ، كما فى قوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ .

[الرعد:١٩ـ ٢١]

---

(١) انظر : تفسيره ١/ ١٧٦.

وقال تعالى فى وصف المؤمنين الصادقين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧، ٥٨] .

وقد وصف الله ﷻ الملائكة وهم المقربون إليه والمُكرمون عنده بدوام خوفهم منه ﷻ ، قال الله تعالى : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦ـ ٢٨] .

كما قال عنهم : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠] .

ومدح أنبياءه عليهم السلام بقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] ، وبقوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

وقال تعالى فى شأن الملائكة والأنبياء والصالحين : ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] .

ومن ثم فالواجب على العبد أن يخاف ربه ﷻ ، خوفا يدفعه إلى إخلاص العبادة لله ﷻ ، ويحمله على أداء ما افترضه عليه ، وعلى الكف عما حرمه عليه .

ويجب أن نعلم أن الخوف من الله سبحانه يجب أن يكون مقرونا بالرجاء والمحبة ؛ كما وصف الله بذلك خيرة خلقه حيث يقول سبحانه : ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] .

وفي ذلك تنبيه على أن يكون العبد دائما بين الخوف والرجاء ؛ فإذا خاف ، فلا

يقنط ولا ييأس ، بل يرجو رحمة الله . وإذا رجا ؛ فلا يتمادى به الرجاء حتى يأمن العقوبة .

بحيث لا يكون خوفا باعثا على القنوط من رحمة الله ؛ فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء ، بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله ، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن من مكر الله؛ لأن القنوط من رحمة الله والأمن من مكره ينافيان التوحيد .

قال تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ .

[الأعراف:٩٩]

قال إسماعيل بن رافع : من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة (١) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] .

وقال : ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] .

قال العلماء : القنوط : استبعاد الفرج واليأس منه ، وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلاهما ذنب عظيم . فلا يجوز للمؤمن أن يعتمد على الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله ، ولا على الرجاء فقط حتى يأمن من عذاب الله ، بل يكون خائفا راجيا؛ يخاف ذنوبه ، ويعمل بطاعة الله ، ويرجو رحمته .

والخوف والرجاء إذا اجتمعا؛ دفعا العبد إلى العمل وفعل الأسباب النافعة؛ فإنه مع الرجاء يعمل الطاعات رجاء ثوابها ، ومع الخوف يترك المعاصي خوف عقابها. أما إذا يئس من رحمة الله ؛ فإنه يتوقف عن العمل الصالح ، وإذا أمن من عذاب الله

(١) أورده السيوطى فى : الدر المنثور ٣/ ٥٠٧ .

وعقوبته ؛ فإنه يندفع إلى فعل المعاصي .

وقد وصف الله الذين أهملوا جانب الخوف واندفعوا في المعاصي ، وأمنوا من العقوبة بأنهم الخاسرون ، فقال تعالى : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٧ـ ٩٩] .

قال بعض العلماء : خوف العبد ينشأ من أمور هي :

* أولا : معرفته بالجناية وقبحها .

* ثانيا : تصديقه بالوعيد ، وأن الله رتب على المعصية عقوبتها .

* ثالثا : كونه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب .

وبهذه الثلاثة يتم له الخوف قبل الذنب وبعده ويكون خوفه أشد [١] .

فاجعل الخوف من الله تعالى نصب عينيك على الدوام ، واعلم أنه من أهم الصفات التى ينبغى لكل مسلم أن يتصف بها ، وأنه يدل على أن صاحبه صاحب إيمان راسخ ، وعقل راجح ، وتفكير سليم .

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، صالح بن فوزان ص ٥٩-٦١ بتصرف يسير .

ثواب الخوف من الله ﷻ

الفوز بالرضى من الله ﷻ :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧، ٨] .

أي رضي الله عنهم بسبب إيمانهم وطاعتهم ، ورضوا عنه بسبب ما وهبهم وأعطاهم من النعيم المقيم في دار السلام .

الفوز بدخول الجنة :

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ .

[النازعات:٤٠، ٤١]

ووعد سبحانه من حقّق مقام الخوف منه بجنتين فقال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] .

ومعنى هذا : أن في الجنة مقاماتٍ ومنازلَ للمؤمنين حسب ما قدّموه من أعمال صالحة .

(١٠٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي النَّضْرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَقِيلٍ الثَّقَفِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو فَرْوَةَ يَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنِي بُكَيْرُ بْنُ فَيْرُوزَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلاَ إِنَّ سِلعَةَ الله غَالِيَةٌ ، أَلاَ إِنَّ سِلعَةَ الله الجَنَّةُ** » [(١)] .

(١) أخرجه الترمذى ، أبواب صفة القيامة ، باب حدثنا محمد بن حاتم المؤدب ٩/ ٢٧٧ (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى: « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر » .ا.هـ .=

فالخوف من الله ﷻ طريقا إلى الجنة .

غفران الذنوب :

(١٠٧٦) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ : قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحُذَيْفَةَ : أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا ، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ » ، قَالَ حُذَيْفَةُ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَل عَمِلتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ، وَأُجَازِيهِمْ ، فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنْ الْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ » فَقَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا ، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي ، فَامْتُحِشَتْ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا ، فَاذْرُوهُ فِي الْيَمِّ ، فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ الله فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، فَغَفَرَ الله لَهُ » [(١)] .

= من خاف: أي البيات والإغارة من العدو وقت السحر ، أدلج : بالتخفيف من سار أول الليل وبالتشديد من آخره ، ومن أدلج بلغ المنزل : أي : وصل إلى المطلب ، ألا : بالتخفيف للتنبيه ، إن سلعة الله : أي : من متاعه من نعيم الجنة ، غالية : بالغين المعجمه أي : رفيعة القدر، ألا إن سلعة الله الجنة : يعني ثمنها الأعمال الباقية المشار إليها بقوله سبحانه : ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف] ، وبقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١] . انظر تحفة الأحوذى ٧/ ١٢٣ .

(١) سبق ذكره وتخريجه .

(..) وفى رواية عنه أيضا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي البَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، فَفَعَلُوا بِهِ ، فَجَمَعَهُ الله ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ ؟ قَالَ : مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ » (١) .

(..) وفى رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اطْحَنُونِي ، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَالله لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ الله الأَرْضَ فَقَالَ : اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ » (٢) .

(..) وفى رواية عنه أيضا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ ، فَوَالله لَئِنْ قَدَرَ الله عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ العَالَمِينَ ، فَأَمَرَ الله البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلتَ ؟ ، قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ لَهُ » (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب الخوف من الله ٨ / ١٢٦ .

رجل : من بني إسرائيل ، يسيء الظن : يتوقع أن يناله بسببه عقاب شديد ، بعمله : الذي كان معصية وكان ينبش القبور ويأخذ ما فيها ، فذروني : فرقوا أعضائي وألقوها أو فرقوا رمادي بعد حرقي ، صائف : شديد الحر حتى تتمزق أعضاؤه وتتبعثر أو تفرق الريح رماده بشدة .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار ٤ / ٢١٥ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/ ٢١١٠ (٢٧٥٦) .

يسرف على نفسه: يبالغ في المعاصي ، قدر علي ربي : حكم وقضى ، ذروني : انثروني وفرقوني .

(٣) أخرجه البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ٩/ ١٧٧ ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/ ٢١٠٩ (٢٧٥٦) .

(..) وفى رواية عنه أيضا ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الحَسَنِ ، وَابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَمْ يَعْمَل خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ ، فَلَمَّا احْتُضِرَ قَالَ لِأَهْلِهِ : انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ أَنْ يُحْرِقُوهُ حَتَّى يَدَعُوهُ حُمَمًا ، ثُمَّ اطْحَنُوهُ ، ثُمَّ اذْرُوهُ فِي يَوْمِ رِيحٍ ، فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي قَبْضَةِ الله ، فَقَالَ الله ﷻ : يَا ابْنَ آدَمَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلتَ ؟ قَالَ : أَيْ رَبِّ مِنْ مَخَافَتِكَ ، قَالَ : فَغُفِرَ لَهُ بِهَا ، وَلَمْ يَعْمَل خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ » (١) .

فالخوف من الله ﷻ من أسباب المغفرة .

يتلقاه الله ﷻ برحمته :

فالخوف من الله ﷻ مع الرجاء فيه ، يورثان فضل الله ورحمته .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤] .

(١١٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الغَافِرِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ الله مَالًا ، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرَ أَبٍ ، قَالَ : فَإِنِّي لَمْ أَعْمَل خَيْرًا قَطُّ ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ، فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ الله ﷻ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ ؟ قَالَ : مَخَافَتُكَ ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ » (٢) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٢/ ٣٠٤ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٩٥ : « قلت : حديث أبي هريرة في الصحيح غير قوله : « إلا التوحيد» . رواه كله أحمد ورجال سند أبي هريرة رجال الصحيح ، وفي سند ابن سيرين من لم يسم » .ا.هـ .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار ٤ / ٢١٤ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/ ٢١٠٩ (٢٧٥٧) . =

(..) وفى رواية عنه أيضا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ ، أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَالَ ـ كَلِمَةً يَعْنِي ـ أَعْطَاهُ الله مَالًا وَوَلَدًا ، فَلَمَّا حَضَرَتْ الوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرَ أَبٍ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ ، أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ عِنْدَ الله خَيْرًا ، وَإِنْ يَقْدِرْ الله عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي ، أَوْ قَالَ : فَاسْحَكُونِي ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا » ، فَقَالَ نَبِيُّ الله ﷺ : « فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا ، ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ، فَقَالَ الله ﷻ : كُنْ ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ ، قَالَ الله : أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلتَ مَا فَعَلتَ ؟ قَالَ : مَخَافَتُكَ ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ ، قَالَ : فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا » (١) .

(١١٢١) حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّالَقَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ المَازِنِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو نَعَامَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو هُنَيْدَةَ البَرَاءُ بْنُ نَوْفَلٍ ، عَنْ وَالَانَ العَدَوِيِّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَلَّى الغَدَاةَ ثُمَّ جَلَسَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الضُّحَى ضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى الأُولَى ، وَالعَصْرَ وَالمَغْرِبَ ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ الآخِرَةَ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ : أَلَا تَسْأَلُ رَسُولَ الله ﷺ مَا شَأْنُهُ صَنَعَ اليَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ ؟ قَالَ : فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : « نَعَمْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الآخِرَةِ ، فَجُمِعَ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَفَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام وَالعَرَقُ يَكَادُ يُلجِمُهُمْ ، فَقَالُوا : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو

= رغسه : أعطاه وبارك له فيه من الرغس وهو البركة والنماء والخير ، حضر : حضره الموت ، اسحقوني : من السحق وهو أشد الدق ، عاصف : شديد الريح .

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب الخوف من الله ٨/ ١٢٦ ، وفى التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ٩/ ١٧٨ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/ ٢١٠٩ (٢٧٥٧) .

البَشَرِ ، وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُمْ ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ إِلَى نُوحٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣] ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ عليه السلام ، فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ ، وَاسْتَجَابَ لَكَ فِي دُعَائِكَ ، وَلَمْ يَدَعْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الكَافِرِينَ دَيَّارًا ، فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل اتَّخَذَهُ خَلِيلًا ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى عليه السلام ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا ، فَيَقُولُ مُوسَى عليه السلام : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُحْيِي المَوْتَى ، فَيَقُولُ عِيسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَشْفَعَ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ عز وجل ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ ، فَيَأْتِي جِبْرِيلُ عليه السلام رَبَّهُ ، فَيَقُولُ اللهُ عز وجل : ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ فَيَخِرُّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ ، وَيَقُولُ اللهُ عز وجل : ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، قَالَ : فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَرَّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى ، فَيَقُولُ اللهُ عز وجل : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، قَالَ : فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ سَاجِدًا ، فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ عليه السلام بِضَبْعَيْهِ ، فَيَفْتَحُ اللهُ عز وجل عَلَيْهِ مِنْ الدُّعَاءِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ خَلَقْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الصِّدِّيقِينَ فَيَشْفَعُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الأَنْبِيَاءَ ، قَالَ : فَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ العِصَابَةُ ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الشُّهَدَاءَ فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا ، وَقَالَ : فَإِذَا فَعَلَتْ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ قَالَ : يَقُولُ اللهُ عز وجل : أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا ،

قَالَ : فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ الله ﷻ : انْظُرُوا فِي النَّارِ هَل تَلقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ ، قَالَ : فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا ، فَيَقُولُ لَهُ : هَل عَمِلتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، فَيَقُولُ الله ﷻ : أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كَإِسْمَاحِهِ إِلَى عَبِيدِي ، ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا ، فَيَقُولُ لَهُ : هَل عَمِلتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُ وَلَدِي إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ ، ثُمَّ اطْحَنُونِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الكُحْلِ فَاذْهَبُوا بِي إِلَى البَحْرِ فَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَالله لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ العَالَمِينَ أَبَدًا ، فَقَالَ الله ﷻ : لِمَ فَعَلتَ ذَلِكَ؟ ، قَالَ : مِنْ مَخَافَتِكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ الله ﷻ : انْظُرْ إِلَى مُلكِ أَعْظَمِ مَلِكٍ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : لِمَ تَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ ، قَالَ : وَذَاكَ الَّذِي ضَحِكْتُ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى »[1] .

الفوز بظل الله ﷻ يوم لاظل الا ظله :

(١١٢٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ عُبَيْدِ الله ، قَالَ: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الإِمَامُ العَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »[2] .

الشعور بالأمن والنجاة من الخوف يوم القيامة :

(١١٢٣) أَخْبَرَنَا الحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الجُوزَجَانِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند١/ ٤ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٧٥ : « رواه أحمد والطبراني ، وفيه عباد بن ناشزة من بني سريع ولم أعرفه ، وابن لهيعة ضعفه الجمهور» .ا.هـ .

(٢) سبق ذكره وتخريجه .

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلاَ قَالَ : « وَعِزَّتِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ : إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ » (١) .

فمن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس ؛ وذلك لأن من أعطى علم اليقين في الدنيا طالع الصراط وأهواله بقلبه ، فذاق من الخوف وركب من الأهوال ما لا يوصف ، فيضعه عنه غدًا ، ولا يذيقه مرارته مرة ثانية (٢) .

وهكذا جعل الله ﷻ للعبد الخائف منه هذا الأجر العظيم ، فعلينا ألا نغفل عن الخوف من الله ﷻ ، لنفوز ونسعد بهذا الجزاء العظيم .

وهناك ثمرات للخوف من الله فى الدنيا من أهمها :

أن الخوف من الله ﷻ من أسباب التمكين فى الأرض : قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾

[إبراهيم:١٣، ١٤]

كما أنه يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه كما فى قوله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .

[النور:٣٦، ٣٧]

وفى قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

[السجدة]

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه ٢/ ٤٠٦ (٦٤٠) ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

(٢) انظر : فيض القدير ٤/ ٤٩٥ .

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:٨ ـ ١٠].

فصل فى البكاء من خشية الله ﷻ

المؤمن يعيش في جهادٍ مع نفسه ، ويراقب الله في جميع أفعاله وتصرّفاته ، فهو يخاف الله ، ويبكي عند ذكره سبحانه تعالى ، والبكاء من خشية الله ﷻ عبادة من أجلِّ العبادات ، حُرم منها الكثيرون ، وغفل عنها الكثيرون إلا من رحم الله ، فهناك من الناس من لم تدمع عينه مرة واحدة ، عند سماع أو قراءة آيات القرآن الكريم ، وربما دمعت مرارا ومدرارا عند سماع كلمات الغناء في الحب والغرام والهجر ، والعياذ بالله .

وما أعظمها من عبادة ! عبادة ، لو علم الخلق فضلها لما كان حالهم كما ترى ، وكان ـ لعظم هذه العبادة ـ كثير من السلف يحب أن يكون من البكائين ، ويفضلونه على بعض من الطاعات ، كما قال عبد الله بن عمر { : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار [(١)] .

ولا شك أن البكاء من خشية الله ﷻ من صفات أهل الخير والصلاح ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:١٠٩] .

وقال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج:٣٤، ٣٥] .

وقد وصف اللهّ تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره ، وذلك لقوّة إيمانهم ومراعاتهم لربّهم ، وكأنّهم بين يديه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

[الأنفال:٢]

(١) أورده الإمام الغزالى فى : الإحياء ٤/ ١٦١ .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣] ، أي تسكن نفوسهم مع الله من حيث اليقين ، وإن كانوا يخافون الله .

وبكاء الصالحين من خشية الله ﷻ يكون فى صلاتهم ، وعند السجود ، وعند الدعاء . وعند قراءة أوسماع القرآن الكريم وتدبر معانيه ولا سيما آيات الترغيب والترهيب .

قال تعالى : ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الاسراء:١٠٧ـ ١٠٦٩] .

وقال ﷻ : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨] .

وعند استشعارهم الخوف من الله تعالى ، وعند التفكر في أحوالهم وتجرئهم على المعصية والخوف من لقاء الله على هذه الحال . ويبكون لمعرفتهم عظيم الأجر على البكاء وخاصة في الخلوة .

كما أن الصالحين يبكون عند استشعارهم الندم والشعور بالتفريط في جنب الله . ويبكون شفقة من سوء الخاتمة .

وعند سماع المواعظ المؤثرة والمحاضرات المرققة للقلب .

السبب في جفاف العين عن البكاء :

لماذا جفت أعيننا عن البكاء من خشية الله ؟!

ولماذا نجد أن عيوننا ما زالت جامدة وكأن الموعظة لم تؤثر فيها إلا من رحم الله ؟

إن السبب فى ذلك هو المعصية ، فالمعصية حائل بين العين وبين البكاء ، وهى تطبع على قلب صاحبها حتى يصير من الغافلين ، قال تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] .

فالعاصى يجد وحشة فى قلبه تحول بينه وبين الله ﷻ ، وكلما كثرت الذنوب والمعاصى اشتدت هذه الوحشة ، فلا يتحرك القلب ، ولاتدمع العين ، ولاتهتز وتتأثر الجوارح ، نسأل الله العافية .

كما أن المعاصى تحدث ظلمة فى قلب العاصى فيقسوا والعياذ بالله ، وبقسوة القلب تقسوا العين ويجف دمعها .

قال ابن عباس ﷺ : إن للحسنة ضياءً في الوجه ، ونوراً في القلب ، وسعة في الرزق ، وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق [(١)] .

وللمعاصي آثارأخرى في الدنيا والآخرة ينبغي لطالب النجاة أن يقف عليها ويتأملها حتى يكون على حذر ، ومن أفضل ماكتب في ذلك كتاب الداء والدواء ، أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم ~ ، فمن أراد الاستزادة فليراجعه .

واعلم أن من السبل الميسرة للبكاء من خشية الله ﷻ :

١ – الإخلاص لله ﷻ في البكاء ، بل وفي الرغبة في البكاء : قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥] .

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ ،**

(١) انظر : الداء والدواء صـ ٧٤ .

وَالتَّمْكِينِ فِي البِلَادِ ، وَالنَّصْرِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدِّينِ ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ » (١) .

٢- الدعاء : قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] .

وكان من هدي النبي ﷺ أن يدعو الله ﷻ أن يعينه على الطاعة .

فادع الله ﷻ أن يلين قلبك ، وأن يرزقك نعمة البكاء من خشيته ، واغتنم أوقات الاستجابة وأحوالها : كوقت السحر ، وساعة الجمعة وهي آخر ساعة بعد العصر قبل صلاة المغرب ، وبين الأذان والإقامة ، وفي السجود ، وفي السفر ، وأثناء الصيام ، ووقت الإفطار ، وغيرها من أوقات وأحوال الاستجابة .

٣- السعي لتحصيل حلاوة الإيمان : فإن من ثمرات حلاوة الإيمان البكاء من خشية الله ﷻ .

٤- تعلُّم العلم الشرعي ، وخصوصاً علم العقيدة : قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الاسراء:١٠٧ـ ١٠٩] .

فالعلم الشرعي يورث في القلب خشية ورهبة .

٥- ذكر الموت ، وما بعده من أهوال : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٥/ ١٣٤ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٢٠ : « رواه أحمد وابنه من طرق ورجال أحمد رجال الصحيح » .ا.هـ .

« أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي المَوْتَ » (١) .

وفى رواية قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اسْتَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ الله ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا » (٢) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يُرْسَلُ البُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، فَيَبْكُونَ ، حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ ، حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الأُخْدُودِ ، لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السُّفُنُ لَجَرَتْ » (٣) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكَوْا ، فَتَبَاكَوْا ، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، فَتَسِيلُ الدِّمَاءُ ، فَتَقْرَحُ العُيُونُ ، فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا أُرْخِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ » (٤) .

وقال عبد الله بن عمرو { : إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يقول : ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧] ، ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٧] ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ، ثم يقول : ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] ، ثم ييأس القوم ، فما هو إلا الزفير

(١) أخرجه الترمذى ، أبواب الزهد ، باب ما جاء فى ذكر الموت ٩/ ١٨٧ (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب».ا.هـ .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ٨/ ٢٥٦ (٨٥٦٠) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٠٩: « قلت: رواه الترمذي وغيره باختصار.رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ».ا.هـ .

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة النار ٢/ ١٤٤٦ (٤٣٢٤) وفي الزوائد : « في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف».ا.هـ .

الأخدود : الشق وجمعه أخاديد .

(٤) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ٧/ ١٦١ (٤١٣٤) ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩١ : « قلت : روى ابن ماجه بعضه . رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه » .ا.هـ .

والشهيق ، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها شهيق ، وآخرها زفير [(١)] .

وقال الحسن البصري : يحق لمن يعلم أن الموت مورده ، وأن الساعة موعده ، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه [(٢)] .

وقال إبراهيم التيمي : ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار،لأن أهل الجنة قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤] ، وينبغي لمن لم يُشفق أن يخاف ألايكون من أهل الجنة ؛ لأنهم قالوا : ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦] [(٣)] .

٦- زيارة القبور، واتباع الجنائز : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً** » [(٤)] .

وفي رواية : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ ، وَعَنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، وَعَنْ النَّبِيذِ فِي الدُّبَّاءِ ، وَالنَّقِيرِ ، وَالحَنْتَمِ ، وَالمُزَفَّتِ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ : « **أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ بَدَا لِي فِيهِنَّ ، نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ القَلبَ ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ فَزُورُوهَا** » [(٥)] .

فالقبور هي الواعظ الصامت ، فأكثر من زيارة القبور يرق قلبك وتدمع عينك

---

(١) أخرجه الطبرانى ، كما فى مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٦ وقال الهيثمى : « رجاله رجال الصحيح » .ا.هـ .

(٢) أورده أبو نعيم فى الحلية ٢/ ١٣٣ .

(٣) أورده أبو نعيم فى الحلية ٤/ ٢١٥ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٣/ ٣٨ ، وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٥٨ : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » .ا.هـ .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٣/ ٢٣٧ ، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٦٦ : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار باختصار ، وفيه يحيى بن عبد الله الجابر ، وقد ضعفه الجمهور وقال أحمد : لا بأس به وبقية رجاله ثقات » .ا.هـ .

من خشية الله تعالى .

قال الأعمش : إن كنا لنشهد الجنازة فلا ندري من نعزِّي من القوم [١] أي : لأن كل من يسير في الجنازة يبكي ، فلا تستطيع تمييز أهل الميت من غيرهم.

٧- قراءة القرآن بتدبر ، والإكثار من الذكر : قال تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١] .

وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] .

وقراءة القرآن لها أثر كبير في طرد الشيطان، ورقة القلب ، وبكاء العين .

١٠- محاسبة النفس : أمر الله ﷻ عباده أن يحاسبوا أنفسهم فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٨، ١٩] .

وأقسم تعالى بالنفس اللوامة فقال : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

[القيامة:١، ٢]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ** » [٢] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع

---

(١) أورده أبو نعيم فى الحلية ٥/ ٥٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند١/ ٤٠٢ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٨٩ : « رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، ورجالهما رجال الصحيح ، غير عمران بن داور القطان ، وقد وثق » .ا.هـ .

عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا [١] .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا قبل أن توزنوا [٢] .

وقال ميمون بن مهران : لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه [٣] .

فطوبى لمن حاسب نفسه فعلم ذنوبه وتقصيره ففاضت عيناه من خشية الله ، وخوفاً من تقصيره .

١١- الخشوع في الصلاة : قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:١، ٢] .

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : عِظْنِي وَأَوْجِزْ ، فَقَالَ : « **إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا ، وَاجْمَعْ الإِيَاسَ مِمَّا فِي يَدَيْ النَّاسِ** » [٤] .

فما أجملها من صلاة يستشعر صاحبها أن هذه الصلاة هي آخر عهده بالدنيا..

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الدعوات ، باب التوبة ٨/ ٨٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى : مصنفه ٧/ ٩٦(٣٤٤٥٩) .

(٣) أورده أبو نعيم فى : الحلية ٤/ ٨٩ .

(٤) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحكمة ٢/ ١٣٩٦ (٤١٧١) ، وفي الزوائد : « إسناده ضعيف . وعثمان بن جبير قال الذهبي في الطبقات : مجهول . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري وأبو حاتم : روى عن أبيه عن جده عن أيوب ، قلت : لكن كون الحديث من أوجز الكلمات وأجمعها للحكمة ، يدل على قربه للثبوت ، فيتأمل » .ا.هـ ، والإمام أحمد فى المسند ٥/ ٤١٢ ، واللفظ له .

١٢- الخوف من عدم قبول الأعمال : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قُلتُ : يَارَسُولَ الله : ﴿ والَّذين يؤتونَ ما آتوا وقُلُوبهم وجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون:٦٠] ، أهُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيشْرَبُ الخَمْرَ ؟ قَالَ : « **لَا ، يَابِنْتَ أبي بَكْرٍ - أوْ يَابِنْتَ الصِّدِّيقِ - وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وُيصَلِّي ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ** » (١) .

فكن على خوف ألا يتقبل منك.

١٣- عدم الإكثار من الضحك : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلبَ** » (٢) ، وموت القلب يمنع دمع العين.

١٤- الزهد في الدنيا : فإن حب الدنيا سبب في قسوة القلب ، والصد عن سبيل الله.. والزهد فيها سبب في لين القلوب وخشوعها ، وبكاء العيون ودموعها..

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ { قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ ، فَقَالَ : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْت فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْت فَلَا تَنْتَظِرْ المَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِسَقَمِك ، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك (٣) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل ٢/ ١٤٠٤ (٤١٩٨) ، والإمام أحمد في المسند٦/ ١٥٩ ، ٢٠٥ ، وقال الألباني : حسن .

هو الرجل الذي يزني : كأنها زعمت أن الخوف إنما يناسب الأعمال القبيحة دون الصالحة ، فتحمل قوله : ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ ﴾ أي : يؤدون من الأعمال القبيحة ما أدوا في الجاهلية .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء ٢/ ١٤٠٣ (٤١٩٣) ، وفي الزوائد : «إسناده صحيح رجاله ثقات ».ا.هـ .

تميت القلب : أي : تجعله قاسيا لا يتأثر بالمواعظ كالميت .

(٣) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » ٨/ ١١٠ .

=

فإن جمدت عيناك بعد كل هذا فعليك بـ..

١٥- التباكي : والتباكي دون البكاء في المنزلة والمرتبة ولكنه سبيل البكاء ؛ لأن المتباكي ممن يجاهد نفسه ويحاسبها ، وممن يسعون لتحقيق مرضاة الله ﷻ ،والله عزوجل يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

فمن جاهد نفسه في التباكي وأخلص في ذلك فهو على الطريق بإذن الله .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، فَيَبْكُونَ ، حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ ، حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الأُخْدُودِ ، لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السُّفُنُ لَجَرَتْ** » (١) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكَوْا ، فَتَبَاكَوْا ، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، فَتَسِيلُ الدِّمَاءُ ، فَتَقْرَحُ الْعُيُونُ ، فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا أُرْخِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ** » (٢) .

= كأنك غريب : بعيد عن موطنه لا يتخذ الدار التي هو فيها موطنا ولا يحدث نفسه بالبقاء قال العيني : هذه كلمة جامعة لأنواع النصائح ؛ إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع وسائر الرذائل منشؤها الاختلاط بالخلائق ، ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق ، عابر سبيل : مار بطريق وتعلقاته أقل من تعلقات الغريب .

خذ من صحتك لمرضك : اشتغل حال الصحة بالطاعات بقدر يسد الخلل والنقص الحاصل بسبب المرض الذي قد يقعد عنها ، من حياتك لموتك : اغتنم أيام حياتك بالأعمال التي تنفعك عند الله تعالى بعد موتك .

(١) سبق ذكره وتخريجه قريبا .

(٢) سبق ذكره وتخريجه قريبا .

وعن ابن أبي مليكة قال : جلسنا إلى عبد الله بن عمرو في الحجر فقال : ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا ، لو تعلمون العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره و لبكى حتى ينقطع صوته [(١)] .

١٦- مطالعة أحوال البكائين : فإنها تدفع باغي الفلاح للتشبه بهم..فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح . والأخبار في أحوال البكائين من خشية الله كثيرة .. وأذكر منها :

سيد البكائين والناس أجمعين حبيبنا محمد ﷺ : لم يكن بكاؤه بشهيق ورفع صوت ، ولكن كانت عيناه تدمعان حتى تسيل الدموع ، ويسمع لصدره أزيز .

وكان ﷺ يبكي في الصلاة ، وعند سماع القرآن الكريم ، وعند القبور .

وكان ﷺ يستعيذ من القلب الذي لا يخشع فيقول : « **اللهمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا** » [(٢)] .

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد اشتهر عنه البكاء في الصلاة .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان في وجهه خطان أسودان من البكاء.وكان يسمع بكاؤه من آخر الصفوف .

وثبت عن ابن عمر أنه ما قرأ قول الله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد:١٦] إلا بكى حتى يغلبه البكاء .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٦٢٢، وقال الحاكم : « هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . ا.هـ . ووافقه الذهبي .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ٤/ ٢٠٨٨ (٢٧٢٢) .

وكانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتُهُ ، فَقِيلَ لَهُ : تَذْكُرُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلا تَبْكِي ، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَ : « **إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ** » ، قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلا القَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ** » (١) .

وكان عبد الرحمن بن عوف ﷺ يُقدم له طعام فيقول : أُعطينا ما أُعطينا من الدنيا ، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام (٢) .

وَقَدْ بَكَى سلمانُ الفَارِسِيِّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فقَالَ : مَا أَبكِي وَاحِدَةً مِنِ اثْنَتَيْنِ ، مَاأَبكِي ضَنًّا لِلدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَةً لِلآخِرَةِ ، وَلَكِنْ رَسُولُ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيّ عَهدًا فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ ، قَالَ : ومَا عَهِدَ إِلَيْك ؟ قَالَ : عَهِدَ إِلَيّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ ، وَمَا تَرَكَ سَلمَانُ ﷺ إِلَّا بِضْعَةً وَعِشْرِينَ دِرهَما مِنْ نَفَقَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ (٣) .

وقال : أبكاني ثلاث : فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع عند غمرات

---

(١) أخرجه الترمذى ، أبواب الزهد ، باب حدثنا هناد ٩/ ١٨٨ (بشرح الإمام ابن العربى المالكى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف » .ا.هـ .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب الجنائز ، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد ٢/ ٩٨ ، وفى المغازى ، باب غزوة أحد ٥/ ١٢١ .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الزهد فى الدنيا ٢/ ١٣٧٤ (٤١٠٤) وفى الزوائد : « في الزوائد في إسناده جعفر بن سليمان الضبعي وهو وإن أخرج له مسلم ووثقة ابن معين فقد قال ابن المديني : هو ثقة عندنا . أكثر عن ثابت أحاديث منكرة . وقال البخاري في الضعفاء : يخالف في بعض حديثه . وقال ابن حبان في الثقات : كان يبغض أبا بكر وعمر . وكان يحيى بن سعيد يستضعفه » .ا.هـ .

ضنا : أي : بخلا بذهابها .

الموت ، والوقوف بين يدي رب العالمين حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة [١] .

وعن ليث بن أبى سليم قال : لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً، فقيل : ما يبكيك؟ فقال : ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحب إلي ، ولكني لا أدري علام أقدم ، على رضى أم على سخط ؟ وقيل : لما حضره الموت قال : هذه آخر ساعة من الدنيا ، اللهم ، إنك تعلم أني أحبك، فبارك لي في لقائك ثم مات [٢] .

وكانت أم أيمن > حاضنة رسول الله ﷺ يزورها أبو بكر وعمر بعد وفاة النبي ﷺ فتبكي..فَيَسْأَلاَنِهَا : مَا يُبْكِيكِ ؟ ، مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : مَا أَبْكِى أَنْ لاَأَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَلَكِنْ أَبْكِى أَنَّ الوَحْىَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا [٣] .

وهاهو الحسن البصري : يؤتى بكوز من ماء ليُفطر عليه ، يدنيه من فيه ، ثم يبكي ويقول : ذكرتُ أمنية أهل النار قولهم : ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ [الأعراف:٥٠] ، وذكرت ما أجيبوا : إن الله حرمها على الكافرين [٤] .

وها هو إبراهيم النخعي يبكي في مرضه فيسألوه عن سبب بكائه فيقول : وكيف لا أبكي وأنا أنتظر رسولاً من ربي يبشرني إما بهذه وإما بهذه ؟ [٥] .

وحين عوتب يزيد الرقاشى على كثرة بكائه ، وقيل له : لو كانت النار خُلِقتْ

---

(١) أورده أبو نعيم فى : الحلية ١/ ٢٠٧، ١١٠.

(٢) انظر : أسد الغابة ، لابن الأثير ، ترجمة حذيفة بن اليمان .

(٣) الحديث أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أم أيمن > ٤/ ١٩٠٧ (٢٤٥٤) .

(٤) أورده أبو نعيم فى : الحلية ٦/ ١٨٩.

(٥) أورده أبو نعيم فى : الحلية٤/ ٢٢٤ .

لك ما زدت على هذا ؟! قال : وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس ؟ [١] .

وحين سئل عطاء السليمي : ما هذا الحزن ؟ قال : ويحك ، الموت في عنقي ، والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي ، وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنَع بي [٢] .

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته : ما شأنه ؟ قالت : زعم أنه يريد سفراً بعيداً وما له زاد [٣] .

وقال سعد بن الأخرم : كنت أمشي مع ابن مسعود فمَّر بالحدَّادين وقد أخرجوا حديداً من النار فقام ينظر إلى الحديد المذاب ويبكي [٤] .

وهذا إسماعيل بن زكريا يروي حال حبيب بن محمد – وكان جاراً له – يقول: كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه وإذا أصبحت سمعت بكاءه ، فأتيت أهله، فقلت : ما شأنه ؟ يبكي إذا أمسى ، ويبكي إذا أصبح ؟! قال : فقالت لي : يخاف والله إذا أمسى ألا يصبح وإذا أصبح ألا يمسي [٥] .

فأين نحن من هؤلاء الذين استشعروا حلاوة الإيمان، وذاقوها ، واستمتعوا بالبكاء من خشية الله ﷻ ؟!

أين نحن من هؤلاء الذين طهرت قلوبهم فتفضل المنان عليهم ، وفتح عليهم من

---

(١) أورده ابن رجب الحنبلي في : التخويف من النار .

(٢) أورده ابن الجوزي في : صفة الصفوة ٣/ ٣٢٧ ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ – ١٩٧٩ ، تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي .

(٣) أورده ابن الجوزي في : المدهش صـ٢٠٤ ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥.

(٤) أورده ابن أبي الدنيا في : الرقة والبكاء ١/ ١١ (٥٨) .

(٥) أورده ابن الجوزي في : صفة الصفوة ٣/ ٣٢٠ .

أبواب بركته وفضله ؟!. أسأل الله ﷻ أن يفتح علينا .

استمع إلى أحد السلف وهو يقول : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا لذيذ العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها .

ويقول الآخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف [١] .

فلنتأمل أحوال البكَّائين وعلى رأسهم سيد المرسلين محمد ﷺ .. لعلنا نقتدي بهم ونتأسى بهديهم ..

فهيا.. واستعن بالله تعالى ..

واعلم أن أسعد لحظات الدنيا يومَ أن تقفَ خاضعاً ذليلاً خائفاً باكيا مستغفرا باكيا .

واعلم أيها المحروم من تلك النعمة أن قحط العين من البكاء من خشية الله تعالى إنما هو بسبب قسوة القلب ، فالعين تتبع القلب ، فإذا رق القلب دمعت العين ، وإذا قسى قحطت ، وأبعد القلوب من الله تعالى القلب القاسى .

(١) انظر : الداء والدواء صـ ١١٠ .